

فكر الدكتور محمد عابد الجابري

بين التراث والمعاصرة

أ. د. د. مجيد مخلف طراد*



● المقدمة :

يتميز هذا العصر الذي نعيش فيه باتساع افق الثقافة نتيجة التقدم العلمي المستمر، وهذا من شأنه ان يبعث عند الكثير من مفكري العرب تساؤلاً مستمراً عن قيمة تراثنا الحضاري والفكري ازاء ثقافة العصر وان يحفز بعضهم في الوقت نفسه الى الاطلاع على مشروع فكري يكشف من خلاله عما يمكن ان يكون في ذلك التراث من المعاني الايجابية والقيم الخلاقة الدافعة الى التقدم العلمي والاجتماعي، ايماناً منهم بإمكان الملائمة بين التراث والمعاصرة وهي ملائمة بلا شك تعطينا ثقة بأنفسنا وتؤكد شخصيتنا بازاء الثقافات الوافدة الينا على اختلاف اتجاهاتها ومن أولئك المفكرين الذين عنوا بهذه الاشكالية ودرسوا التراث العربي الاسلامي من اجل الكشف عن اصالته الدكتور محمد عابد الجابري .

● إشكالية التراث والمعاصرة في فكر الجابري:

كان الجابري احد الرواد الاوائل الذين كرسوا جهدهم للعناية بالتراث الفلسفي الاسلامي فعنى بشخصياته البارزة كالفارابي وابن رشد وابن خلدون، بل كانت قراءة ابن خلدون في اطروحة الدكتوراه رقيقة جداً أضفت طابعاً معاصراً للمنهج الخلدوني في التعامل مع التاريخ الاسلامي عموماً.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



ثم جاء تأليفه لكتاب فلسفة العلوم في جزئيه الاله في دراساته ان دخل من خلاله منعطفاً منهجياً الى فلسفة العلوم ثم راح يقطع خطوات اخرى متقدمة في مقاربتة للتراث وما تضمنه من اتجاهات فقهية وفلسفية وتاريخية ونقلية وصوفية وسياسية، شكلت فيما بعد الخطوط الاساسية لاشكالية التراث والمعاصرة في فكره الفلسفي، هذه الاشكالية التي كثير ما تطرح في الفكر العربي الحديث والمعاصر على انها مشكلة الاختيار بين النموذج الغربي في المجالات كافة وبين التراث بوصفه يقدم او بإمكانه ان يقدم انموذجاً بديلاً او اصيلاً يغطي جميع ميادين الحياة المعاصرة^(١).

لقد تعامل الجابري مع التراث بعده قوة حاضرة في الذاكرة العربية وهذا يعني ان الاسلام عنده لا يزال يلعب دور المحرك للتاريخ العربي في مختلف لحظاته وتجلياته وتقلباته، فسعى الى الكشف عن جذور التراث العربي الاسلامي من خلال البحث عن مكوناته الاساسية وعن الية العقل الذي انتج هذا التراث بالاعتماد على منهج نقدي مبيناً السبل الكفيلة بالتعاطي معه وبيان مكامن القوة والابداع مع الاخذ بنظر الاعتبار الفارق الزمني بين الماضي والحاضر، وهكذا سعى الجابري بكل ما بوسعه للكشف عن اصالته واحيائه في وقت اشتدت فيه الحاجة الى هذا الاحياء الذي كان ولا يزال يعد من اهم الاعمال الفكرية التي يمكن من خلالها مواجهة اخطار وتحديات الثقافة الغربية الجديدة التي فرضت نفسها كنموذج عالمي حضاري جديد للعالم كله يقوم على جملة مقومات لم تكن موجودة سابقاً مثل التنظيم العقلاني لشؤون الاقتصاد واجهزة الدولة واعتماد العلم والصناعة والتبشير بقيم جديدة كالحرية

والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وكانت وسائله بذلك التبادل التجاري غير المتكافئ والتدخل في الشؤون الداخلية بحجة الدفاع عن حقوق اقلية من الاقليات او حماية مصالح معينة او الهيمنة الاقتصادية والسيطرة الثقافية والايديولوجية وكان من نتيجة ذلك كله غرس بنى هذا النموذج الغربي في البلاد العربية هذا من جهة، ومن جهة اخرى اذا كنا لم نختار النموذج الغربي بارادتنا فنحن كذلك لم نختار ما تبقى لدينا من النموذج التراثي فان ذلك ارث يصاحب حياتنا شئنا ام ابينا واكثر من ذلك هنالك شعور داخلي نتمسك به بل نجده احياناً ملاذ لنا نحتمي به عندما نجد انفسنا امام تهديد خارجي يمس الذات والهوية والاصالة والخصوصية ويحاول ان يحل نفسه إنموذج حضاري على حساب النموذج التراثي العربي الاصيل^(٢).

هذه هي حقيقة المشكلة التي يعانها الفكر العربي المعاصر، فهي ليست مشكلة الاختيار بين النموذج الغربي والنموذج التراثي الاسلامي او محاولة التوفيق بينها، بل المشكلة الاساسية التي ينبغي ان يدركها الجميع هي الازدواجية التي ترافق حياتنا المادية والفكرية، بل الاكثر هي مشكلة موقفنا من هذه الازدواجية، فنحن نقبل هذه الازدواجية على صعيد واقعنا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والتعليمي، بل قد نبني خططنا المستقبلية على اساس هذا الواقع المزدوج وبتماس معه تماماً، لكننا في الوقت ذاته قد ندعم القطاعات العصرية ونوسعها باسم المعاصرة تماماً كما ندعم بالمقابل القطاعات التقليدية من اجل البقاء عليها واحياء المندثر منها باسم الاصاله او التراث^(٣)

امام ذلك كله وانطلاقاً منه تولدت لدى الجابري رغبة في حصر جهوده العلمية في اتجاه واحد بعد

ان فرضت عليه ظروف التدريس في الثمانينيات الخوض في اكثر من اختصاص، فقرر توجيه هذه الجهود كلها باتجاه الدراسات التراثية الاسلامية حتى انقطع اليها كلياً فيما بعد وبمرور الزمن تبلور في فكره منهج ورؤية يستجيبان لجانب مهم من الاهتمامات الفكرية العربية المعاصرة، فشكل هذا الهاجس في داخله نواة مشروع فكري جديد يدرس التراث والفكر المعاصر معاً على ان يساهم في تقديم اجوبة منطقية عن علاقة التراث بالمعاصرة، وكيف نتعامل مع التراث؟ وهو سؤال عصرنا الثقافي الراهن بعد ان استرجع كتبه التراثية التي بدأ بتأليفها منذ عام ١٩٧١ بكتابه (العصبية والدولة، معالم النظرية الخلدونية في التاريخ الاسلامي) ثم اعقبه بمؤلف آخر في عام ١٩٧٧ من اجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية وكتاب (نحن والتراث، قراءة ومعاصرة في تراثنا الفلسفي) في عام ١٩٨٠ ثم مؤلفه التراث والحداثة / دراسات ومناقشات في عام ١٩٩١.

اقول لقد تبلور في ذهنه بعد ذلك مشروع نقدي كبير ظهر على شكل كتاب ضخ في ثلاثة اجزاء يحمل عناوين تكوين العقل العربي وبنية، العقل العربي، والعقل السياسي العربي، صدرت كلها في بيروت في الاعوام ١٩٨٤، ١٩٨٦، ١٩٩٠^(٤). والذي دعى فيه الى الاخذ بثقافة الغرب مع إحياء التراث العربي القديم بما انطوى عليه من أدب وعقيدة وتشريع وفلسفة وبذلك تمتزج الثقافات القديمة والجديدة في اطار واحد يمكن للامة العربية الاسلامية من خلالها ان تعيد ثقافتها بنفسها وتعيد بناء مجدها بانفتاحها على ما هو جديد مع الاحتفاظ بالقديم بحيث لا يطغى احدهما على الآخر، فهي اذن محاولة للثقة بتراث

الامة الحضاري والسعي للاطلاع عليه وفهمه بدقة ونشر مالم ينشر منه حتى نحكم عليه بالحكم الصحيح .

تلك هي جذور مشروع الجابري الفكري وخطوطه العامة ومقدماته الاساسية والذي ينظر اليه البعض على انه واحد من أهم وأبرز المشاريع الفكرية على الساحة العربية المعاصرة والذي استقطب اهتمام العديد من المفكرين والمثقفين والنقاد العرب من ذوي الاختصاص في مجال الفكر والفلسفة كونه باعتقادهم يمثل وقفة جادة ومعقدة لدراسة التراث باطر منهجية معاصرة، قد لا نجد فيها ذلك النظير النقدي التقليدي الذي تتبناه النظريات النقدية الحديثة المعروفة في الدراسات الادبية والفلسفية والتي كثير ما نجدها في دراسات وكتابات واءاء المفكرين المعاصرين له، فضلاً عن ذلك كله فان دراسة الجابري للتراث جاءت بطريقة تحليلية دقيقة انتجت عنها اراء وافكار واجتهادات خطيرة وجريئة طالت تركيبه الاداة الاساسية للفكر العربي الا وهي العقل^(٥)

فالعقل من حيث هو نتاج فكري ومنظومة معرفية وتطورات ذهنية وثوابت في الفهم نوعان، عقل نظري يستقبل بطرائق الاستدلال وقواعد البحث العلمي والناس فيه سواء وآخر عملي يضم أنماط التفكير الاجتماعي والاخلاقي والذوقي، بمعنى أدق هو نشاط الناس او الجماعات والذي يشكل الصورة الاجتماعية للشخصية الوطنية وهو بذلك الأهم ان لم يكن الأخطر من نوعه النظري^(٦).

لقد ركز محمد عابد الجابري في مشروعه لدراسة التراث على مسألة غاية في الاهمية عندما أشار فيه الى ان نقد العقل العربي جزء أساسي وأولي لكل مشروع نهضوي عربي حديث، مؤكداً ان سبب تعثر أغلب



المشاريع الفكرية العربية هو انها كانت تجري غير هذا المجري، بل يعتقد جازماً أن من أهم أسباب تعثرها لغاية الآن هو تبنيها عقل لم يقم بمراجعة شاملة لألياته ومفاهيمه وتصوراتهِ^(٧).

فالعقل عنده هو الفكر بوصفه أداة للتفكير وعروبتة تمثل الثقافة التي ينتمي اليها، وهكذا استطاع ان يشخص وبدقة اسباب الركود الفكري العربي حتى عُد تساؤله عن أسباب هذا الركود هو المرتكز والمنهج النقدي لمشروعه الفكري الجديد، مع الإشارة الى ان هذا السؤال هو ذاته الذي طرحه غيره من المفكرين العرب المحدثين والمعاصرين وإن كان بأشكال وصيغ مختلفة لكنها تشير الى معنى واحد هو لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ ربما الإختلاف في طرح الجابري له كان على وفق الاطار الذي أراد ان يتحرك به وأعني الاطار الإستمولوجي او المعرفي المحض لكي تكون صيغة طرحه للسؤال مستوعباً كل الإستيعاب داخل هذا الإطار^(٨).

وحتى نكون أكثر دقة في تحديد هذا السؤال وبيان تفصيلاته كما طرحه الجابري نعيد صياغته بالشكل الآتي، لماذا لم تتطور أدوات المعرفة من مفاهيم ومناهج ورؤى في الثقافة العربية خلال نهضتها في القرون الوسطى الى ما جعلها قادرة على إنجاز نهضة فكرية علمية متطورة شاملة على غرار ما حدث في الغرب منذ القرن الخامس عشر^(٩).

إذن هذه هي قاعدة الإنطلاق لرسم صورة منهج مشروعه الفكري الجديد، وهي نقطة بلا شك تعبر عن دلالات وأبعاد فلسفية لفكر الجابري، إذا ما نظرنا اليه من وجهة نظر فلسفية بحثه، لان حقيقة العقل المتفلسف قائمة أساساً على أسئلة متواصلة عن الأشياء والوجود والفكر وتحاول أن تبحث عن اجوبة ومعانٍ أوسع لهذه المفاهيم أو الإشكاليات . ولذا نجد ان الفكر الفلسفي

وعبر مسار تأريخه الطويل يعد إثارة الاسئلة من الواجبات الأساسية لبحث اي مشكلة بإطار فكري او فلسفي ولهذا قيل ان التفلسف بدأ بأسئلة طاليس عن أصل الأشياء^(١٠).

يعتقد الجابري ان السؤال عن كيفية التعامل مع التراث سؤالاً متعدد الأبعاد ومرتببط فيه سؤال آخر ملازمًا له كيف نتعامل مع عصرنا وهو سؤال متعدد الأبعاد وموجه الى التراث بجميع مجالاته وموجه الى المعاصرة نفسها بكل معطياتها وطموحاتها فلا تزال هنالك اراء تضع بصيغة او بأخرى الاشتغال بالتراث موضع التساؤل لما كل هذا الاهتمام بالتراث؟ هل هو ردة فكرية؟ وان التمسك به يعني رفض كل المعاصرة ومتطلباتها، فهل تراثنا هو ككل تراث مجرد بضاعة تنتمي الى الماضي ويجب ان يبقى في الماضي وبالتالي لا ينبغي العناية به الا المختصون في شؤون الماضي وينحصر الاهتمام به في قاعات الدرس الجامعي والنشر في المجالات العلمية والثقافية، حتى نتوجه الى المعاصرة، ان هذا التوجه بتقدير الجابري ينم عن عدم تقدير كاف للاشكالية المطروحة في الثقافة العربية، وهو ينظر الى المعاصرة هي تجاوز الفهم التراثي للتراث الى فهم معاصر والى رؤية حديثة له فالمعاصرة باعتقاده لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني عنده الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث الى مستوى ما نسميه بالمعاصرة اي مواكبة التقدم الحاصل على صعيد الحضارة الانسانية^(١١). وهكذا نلاحظ ان اشكالية التراث والمعاصرة كان حضورها واضح وعميق لديه بعدد واحد من أهم القضايا التي طرحت نفسها بقوة ليست على الفكر الجابري فحسب، وانما على الفكر العربي المعاصر بشكل عام، واخذ يتجدد شكل

طرحها بتجدد شكل واسلوب معالجتها من قبل المفكرين العرب المعاصرين بل رافقت جهودهم الفكري والثقافي منذ مدة ليست بالقصيرة عندما بدأت المواجهات العسكرية التاريخية بين اوروبا والبلاد العربية التي رافقتها مواجهة من نوع آخر هي المواجهة الحضارية الشاملة التي جاءت بها اوروبا الى العرب حاملة نتائج نهضتها ووسائل تقدمها حتى أصبحت الحضارة الغربية وقيمها باعتقادها واعتقاد بعض المفكرين العرب أيضاً هي المعيار الوحيد الذي يحدد كل نهوض وتقدم، الامر الذي اصاب العالم العربي بصدمة حضارية وعاش حالة من الانهيار التي افقدته القدرة على التميز والرؤية الصحيحة، فوقف العقل العربي على أثرها عن الابداع والعطاء^(١٢)، بل فقدت الامة الفاعلية الحضارية المطلوبة لنهضتها وتقدمها، فسادها الركود والتخلف واصبحت القضية المطروحة على الفكر العربي بإلحاح . كيف نوازن بين تراثنا من جهة وبين مواجهة التحدي الجديد الذي يعبر عنه بالمعاصرة من جهة أخرى، وهو السند الذي لا بد منه في عملية تأكيد الذات لمواجهة هذا التحدي . وان كانت المعادلة في غاية العسر وحلها في غاية الصعوبة، فمن جهة هناك اعجاب لا ينكر بعلوم الغرب ومنجزاته الحضارية على الاصعدة كافة، تعد مثال لنموذج التقدم العلمي الذي شهده العالم، ولكن من جهة اخرى نرى ان حامل هذا النموذج هو الغرب نفسه الذي سلب حرية الامة وخيراتها وطعن في هويتها واصالتها وشكك في تراثها وهدد وجودها^(١٣).

بدأ الجابري بمناقشة قضية التراث والمعاصرة بقراءة جديدة لتراث العرب الاسلامي تنطلق من منهج واحد وعن رؤية واحدة بحيث يجعل من هذه القراءة المقروء معاصراً لنفسه على صعيد

الاشكالية والمحتوى المعرفي من جهة، ومن جهة اخرى تحاول هذه القراءة ان تجعل المقروء معاصر لنا ولكن فقط على صعيد الفهم والمعقولية، فهي تجعل المقروء اذاً معاصراً لنفسه ومعناه فصله عنا وجعله معاصر لنا ومعناه وصله بنا، اذن هي قراءة تعتمد على الفصل والوصل لخطوتين منهجيتين رئيسيتين^(١٤) .

استعرض الجابري القراءات السابقة لقضية التراث والمعاصرة فوجد نفسه أمام ثلاث قراءات رئيسية، حاول الوقوف عليها ومناقشتها وبيان خلاصاتها، **الاولى هي القراءة السلفية** والتي طرحها بسؤالين كيف نستعيد مجد حضارتنا ؟ وكيف نحيا تراثنا ؟ وهما سؤالان كما يعتقد يتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه ويشكلان بترابطهما احدي المحاور الرئيسية في اشكالية الفكر العربي الحديث والمعاصر، مؤكداً ان التيار السلفي انشغل بالتراث واحيائه اكثر من غيره وحاول استثماره من اطار قراءة ايديولوجية تسعى الى اسقاط صورة المستقبل المنشود على الماضي ثم البرهنة انطلاقاً من عملية الاسقاط هذه على ما تم في الماضي يمكن تحقيقه في المستقبل، فيتخذ من الاصاله والتمسك بالجذور والحفاظ على الهوية شعاراً له على ان هذا الشعار يمثل الاسلام الحقيقي، وهي محاولة لتأكيد الذات وبعث الثقة فيها، لكن الذي حدث العكس تماماً لقد أصبحت الوسيلة لتأكيد الذات غاية بحد ذاتها، فالماضي الذي اعيد بناؤه بسرعة قصد الارتكاز عليه لنهوض الامة أصبح هو نفسه مشروع للنهضة وهكذا أصبح المستقبل يقرأ بواسطة الماضي وظلت صورة هذا المستقبل هي نفسها صورة المستقبل - الماضي - وينتهي الجابري من هذه القراءة الى انها قراءة لا تاريخية



وبالتالي لا تنتج سواء نوع واحد من الفهم للتراث هو الفهم التراثي للتراث^(١٥)، نعم ربما كانت وقائع الحياة منذ البعثة المحمدية الى بدايات القرن التاسع عشر مشابهة متناظرة فلم يكن هنالك وقائع في حياة المسلم العربي ما يجعله يشعر بأنه منفصل عن التراث لقد كان حاضره امتداد للماضي ونسخة منه اما اليوم فالامر يختلف تماماً، فالحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وبكلمة واحدة الحضارة الراهنة تختلف جذرياً عن نمط حياة الماضي وبالتالي فالاحكام الى الاشياء والنظائر لا يكفي بل ربما لا يجدي لان معطيات الحضارة المعاصرة لا اشباه لها ولا نظائر في الماضي فالاصلاح او تطبيق الشريعة اصبح يتطلب ليس فقط الرجوع الى الاصول بل اعادة تأصيلها بفكر متفتح يجمع بين اعتبار المقاصد والاسترشاد باسباب النزول وبين ضروريات وحاجات عصرنا خصوصاً تلك التي تسهم في تحرير الانسان وتقدم الحضارة^(١٦) .

اما القراءة الثانية فهي القراءة اللبرالية والتي طرحها بصيغة سؤالين ايضاً هما كيف نعيش عصرنا ؟ وكيف نتعامل مع تراثنا ؟ وهما سؤالان مترابطان ومتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه وبذلك يشكلان احد المحاور الرئيسية في اشكالية الفكر العربي الحديث والمعاصر .

ويرى الجابري ان نظام العلاقات في هذا المحور قائم على الترابط بين الحاضر والماضي ولكن لا حاضر العرب بل حاضر الغرب الاوروبي الذي يفرض نفسه كذات على العصر كله واساس لكل مستقبل ممكن وهي قراءة استشرافية تقوم من الناحية المنهجية على معارضة قراءة التراث بالتراث ومحاولة رد كل شيء الى اصله فعندما يكون المقروء مثلاً التراث الاسلامي فان مهمة القراءة تنحصر

في رده الى اصوله اليهودية والمسيحية والفارسية واليونانية والهندية .

وهكذا تهدف دعوى المعاصرة على وفق هذه القراءة اللبرالية للتراث الى استلاب للذات، الذات لا بوصفها حاضراً متخلفاً فحسب بل ايضاً بوصفها تاريخاً وحضارة^(١٧)، فمن الواضح ان هذه القراءة تهدف الى الاعراض والقطيعة عن التراث العربي الاسلامي وان اعتمادها يقتضي في الوقت نفسه الاعراض والقطيعة عن التراث الاوربي الذي انبثقت منه هذه القراءة، لكننا لا نرى ذلك عندها وهذه هي نقطة الضعف الاساسية فيها ولهذا يرى الجابري ضرورة اعادة النظر في الطريقة التي يتعامل بها اتباع هذه القراءة مع الحداثة الاوربية لانها بالنتيجة لا تعني استسلام الخصوصيات الثقافية ولا ذوبانها فيها بقدر ما هي محفز قوي للمقاومة والدفاع عن الذات^(١٨) .

القراءة الثالثة والاخيرة هي القراءة اليسارية او الماركسية، والتي لخصها بسؤالين ايضاً هما كيف نحقق ثورتنا ؟ كيف نعيد بناء تراثنا ؟ وهما سؤالان آخران يتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه، وكذلك يشكل بترابطها احد المحاور الرئيسية في اشكالية الفكر العربي المعاصر والحوار في هذه القراءة ونظام العلاقات فيها يقوم على المستقبل والماضي بوصفها معاً مجرد مشروعين، مشروع الثورة التي لم تتحقق بعد ومشروع التراث الذي سيعاد بناءه بالشكل الذي يجعله يقوم بدوره في هذه الثورة وتأصيلها، فالعلاقة جدلية بين الاثنین مطلوب من الثورة ان تعيد بناء التراث وبالمقابل مطلوب من التراث ان يساعد على تحقيق الثورة، وانتهت هذه القراءة اليسارية كما يصفها الجابري للتراث العربي الاسلامي الى سلفية ماركسية، اي الى محاولة لتطبيق طريقة الماركسية للمنهج الجدلي

فكان الهدف هو البرهنة على صحة المنهج المطبق لا تطبيق المنهج وهذا هو سر ضعف هذه القراءة وقلة انتاجها وضعف مردوديتها وانعكاساتها على الفكر العربي الحديث والمعاصر^(١٩).

السؤال هنا ما الذي يريده الجابري من هذه القراءات؟ هل هي عملية اقرار لهذه الاطروحات او تبنيها او الكشف عنها؟ يجيب ان الذي يهمنى من ذلك كله هو طريقة التفكير التي انتجتها او العقل وفعله اللاشعوري كما يصفه الذي يؤسسها، لانه يؤمن ان نقد الاطروحات عندما يغفل الاساس المعرفي الذي تقوم عليه هو نقد ايديولوجي وبالتالي فهو لا يمكن ان ينتج سوى ايديولوجيا، اما اذا ركزنا في نقدنا على الجانب المعرفي او طريقة الانتاج الفكري او النظري فهو السبيل الوحيد الذي يضيف الصيغة العلمية ويمهد لقيام قراءة علمية واعية للتراث العربي الاسلامي.

فاذا دققنا بالقراءات الثلاثة الأنفة الذكر وقمنا بعملية تحليل دقيقة لها وجدنا ما يجمع بينها من الناحية المعرفية هو وقوعها جميعاً تحت طائفة آفتين كبيرتين هي المنهج والرؤية، فمن ناحية المنهج افتقدت جميع هذه القراءات الى الحد الأدنى من الموضوعية ومن ناحية الرؤية تعاني جميعها من غياب النظرة التاريخية، وهذان الظاهرتان اعني اللاتاريخية وفقدان الموضوعية هما متداخلتان تلازمان كل فكر يئن تحت ثقل احد اطراف المعادلة التي يحاول تركيبها^(٢٠).

فالقضية الاساسية التي تواجه مشكلة المنهج في الفكر العربي المعاصر هي الموضوعية بين الفصل والوصل اي علاقة القارئ العربي بالمقروء، اي محاولة فصل الذات المفكرة عن الموضوع (التراث). وحتى يستقيم لدينا الفهم الموضوعي للتراث ولا وسيلة لذلك الا ان تسبقه وسيلة منهجية فاعلة هي

القطيعة التي يؤكد الجابري على اهميتها في فهم التراث، على ان تكون هذه القطيعة ابستمولوجية مع بنية العقل العربي وخاصة للفترة الواقعة بين عصر الانحطاط وامتداداتها في الفكر العربي الحديث والمعاصر^(٢١)، اذن فاولى خطوات تلك المنهجية كما يرى الجابري هي ضرورة القطيعة مع الفهم التراثي للتراث، وبذلك استطاع ان يوظف مصطلح القطيعة الابستمولوجية في مجال تاريخ الفلسفة الاسلامية على انها وبحسب منهجه لها كانت قراءات مستقلة متوازية لفلسفات امم معينة (اليونان) ليستنتج من خلالها ان لا تاريخ لهذه الفلسفة - العربية الاسلامية.

والذي دفع الجابري الى ذلك الرأي هو اعتقاده ان قراءة التراث في الفكر العربي عموماً مؤسسة فعلاً على طريقة واحدة في التفكير، الطريقة التي سماها الباحثون العرب القدامى بـ «قياس الغائب على الشاهد» وهي طريقة علمية بلا شك ولكن بشرط الالتزام بمعاييرها وشروطها الصحيحة، لكنها ربما تتحول الى قياس الجديد على القديم عندما لم يتم التقيد بشروطها الصحيحة، واصبحت تشكل الفعل المنتج في نشاط العقل العربي لنتائج خطيرة منها الغاء الزمان والتطور، في الحاضر كل حاضر يقاس على الماضي وكان الماضي والحاضر والمستقبل عبارة عن بساط ممتد لا يتحرك ولا يتموج بل هو عبارة عن زمان راكد ومن هنا تأتي لا تاريخية الفكر العربي، كذلك لم نرى في ذلك كله فصل بين الموضوع والذات فتحول القياس الى آلة ذهنية تمارس بشكل آلي دون استقراء او تحليل او دون فحص او نقد واصبح الشاهد شاهداً باستمرار وحاضراً في العقل والوجدان باستمرار ومن هنا فقد الفكر العربي الموضوعية المطلوبة^(٢٢).



وهكذا يذهب الجابري الى ان فقدان الموضوعية هذه هي التي ادت الى قراءة التراث قراءة سلفية تمجد الماضي وتقدسه وتبحث عن الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل، واذا كان هذا الامر ينطبق بشكل واضح على التيارات الدينية فإنه ينطبق ايضاً على التيارات الاخرى، اذ ما عرفنا لكل منها سند سلفي يستند به وهكذا يصل الجابري الى ان العرب اقتبسوا جميع مشاريع نهضتهم من الماضي، اما الماضي الاسلامي او الماضي الحاضر الغربي الاوروبي او من التجربة اليسارية الروسية فالمشروع النهضوي العربي بأكمله عبارة عن نشاط ذهني آلي يبحث عن حلول جاهزة لمشاكل مستجدة في اصل ما، وعليه يتطلب الامر الوقوف عليه وتعيينه وفحصه بدقة ونقده بكل قوة قبل الدعوة الى تجديده او تحديده وهذه العملية لا تتم او تتطلب هدم القديم ونقده نقد شامل وعميق وهذا هو الهدف الذي سعى اليه الجابري وحاول تحقيقه من خلال مشروعه الفكري الجديد الذي تبناه (٢٣) .

نستنتج من اطروحات الجابري الفكرية والفلسفية المختلفة ان التراث العربي الاسلامي يتجسد بشكل واضح في العقيدة والشريعة واللغة والادب وعلم الكلام والفلسفة والتصوف وهو نتاج فترة زمنية من الماضي الذي عاشته الامة وينفصل عن الحاضر بمسافة زمنية ما تشكلت خلال مدة الانفصال هذه هوة حضارية فصلت الامة ولا تزال تفصلها عن الحضارة المعاصرة .

لكن الذي يميز تراث الاسلام هو انه مجموعة عقائد ومعارف وتشريعات ورؤى فضلاً عن اللغة التي تشكل الاطار لذلك كله وقد بدأ هذا التراث في القرنين الثاني والثالث للهجرة (الخامس عشر الميلادي) اي مع انطلاق تكوين النهضة الاوروبية الحديثة، وعليه لا بد ان ننظر الى التراث من داخل منظومة مرجعية

بانه نقاط اسناد للحضارة الاوروبية من حيث هو انتاج فكري وقيم روحية ودينية واخلاقية وجمالية تقع هناك فعلاً اي خارج الحضارة الحديثة ليس فقط بوصفها منجزات مادية وتقدم علمي وصناعي وانما بوصفها نظاماً معرفية وفكرية واخلاقية وجمالية وبما اننا نعيش هذه الحضارة ونحلم بالمشاركة الواعية فيها فاننا نزداد بذلك بعداً عن تراثنا كلما اقتربنا اكثر من هذه الحضارة والمسافة بين هنا وهناك قد تزداد اتساعاً وعمقاً، مما يخلق شعور لدى البعض هو الحنين اليه وفي الوقت نفسه يولد رغبة عند البعض الآخر للقطيعة عنه (٢٤) .

وبناء على ذلك يقرر الجابري انه من المستحيل ان ترى الامة العربية الاسلامية نهضة معاصرة مالم تنطلق اساساً من تراثها او تنتظم داخل تراث غيرها .

وعليه لا بد من قراءة تراثنا بأدوات ووسائل جديدة وب عقلية معاصرة نستقرء من خلالها تفصيلات تراثنا كمرجع لنا وتاريخ لمحاربة التخلف ومواجهة الاستعمار الاوروبي وبالتالي تشيد ثقافة عربية اصيلة مستقبلية تكون لنا ارضية صلبة للانطلاق نحو المستقبل، فبممارسة العقلانية النقدية في تراثنا وبمعطيات منهجية لعصرنا نستطيع ان نكون ثقافتنا بروح نقدية ورؤى عقلانية وهما شرطان ضروريان لكل نهضة، إذ لا بد من مقاطعة الفهم التراثي للتراث وتحقيق الموضوعية والاستمرارية في القراءة لهذا التراث والاعتماد على رؤية منهجية قائمة على وحدة الفكر ووحدة الاشكالية والانطلاق من تاريخية الفكر برصد الحقل المعرفي والمضمون الايديولوجي عندما نتعامل مع قضية التراث والمعاصرة في الفكر العربي الاسلامي .

* الهوامش:

- (١) الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص ١٥.
- (٢) المصدر نفسه، ص ١٨.
- (٣) الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي، ص ١٩.
- (٤) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ص ٨.
- (٥) الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ص ٥.
- (٦) مبارك، محمد، الجابري واضطرابه بين طروحات لالاند وجان بياجيه، مفهوم العقلانية بحث منشور في مجلة الرواد، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٣٣.
- (٧) الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩، ص ٥٦٤.
- (٨) ابي ذر، نابلة، التراث والمنهج بين اركون والجابري، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٥٥.
- (٩) ٤- آل جعفر، وثاب خالد، نقد العقل بين محمد عابد الجابري ومحمد اركون، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠١٣، ص ٧٥.
- (١٠) الألويسي، حسام الدين، الفلسفة والانسان، بغداد، ١٩٩٠، ص ٩١.
- (١١) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص ٦٤.
- (١٢) الجابري، محمد عابد، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٩٩١.
- (١٣) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص ١٠٤.
- (١٤) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٦.
- (١٥) الجابري، الخطاب العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٣.
- (١٦) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص ١٥.
- (١٧) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، ص ١٠.
- (١٨) الجابري، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ص ١٢٤.
- (١٩) الجابري، نحن والتراث، ص ١٢.
- (٢٠) المصدر نفسه ن ص ١٣.
- (٢١) الجابري، التراث والحداثة، ص ٢٦٢.
- (٢٢) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، ص ١٦.
- (٢٣) آل جعفر، وثاب خالد، مصدر سابق، ص ٦٣.
- (٢٤) الادريسي، حسين، محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٦٨.
- * مصادر البحث:
- ١- الألويسي، حسام الدين، الفلسفة والانسان، بغداد، ١٩٩٠.
- ٢- آل جعفر، وثاب خالد، نقد العقل بين محمد عابد الجابري ومحمد اركون، بغداد، ٢٠١٣.
- ٣- ابي ذر، نابلة، التراث والمنهج بين اركون والجابري، بيروت، ٢٠٠٨.
- ٤- مبارك، محمد، الجابري واضطرابه بين طروحات لالاند وجان بياجيه، مفهوم العقلانية، مجلة الرواد، ٢٠٠٠.
- ٥- الجابري، محمد عابد، حفريات في الذاكرة من بعيد، بيروت، ١٩٩٧.
- ٦- الفقيه، شبر، الفكر الفلسفي المعاصر، اشكالية التأويل، بيروت، ٢٠٠٩.
- ٧- الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٠.
- ٨- الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، بيروت، ١٩٩١.
- ٩- الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٠- ولدبايه، السيد، اعلام الفكر العربي، مدخل الى خارطة الفكر العربي الراهنة، بيروت، ٢٠١٠.
- ١١- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩.
- ١٢- الجابري، محمد عابد، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، بيروت، ٢٠٠٠.
- ١٣- الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، ٢٠٠٦.
- ١٤- الجابري، الخطاب العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٩.
- ١٥- الجابري، محمد عابد، المشروع النهضوي العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
- ١٦- الادريسي، حسين، محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، بيروت، ٢٠١٠.



The conception of Dr. Mohammad Abid Al-Jabiry between heritage and contemporary

By: Dr. Majeed Mukhlif Tarrad



Abstract

Dr. Mohammad Abid Al-Jabiry is a thinker, Arabic philosopher, from Morocco , he is related with civil , intellectual projects in the Arabic contemporary area ,it is concentrated on the problematic between heritage and contemporary that could not Imposing itself not only through Al-Jabiry thought but, on the Arabic thought in general . he wrote many books and the most important one is heritage , modernism , we and heritage and making the Arabic brain and others. He discovered the speech on heritage carried it Implied or explicit . Al-Jabiry had considered the criticism of Arabic brain as a fundamental part of developing project who talked about brain as an instrument of thinking and must be reviewed to conceptions , inceptions , he treated heritage as courageous power in Arabic memories this means that Islam is still playing the generator role to Arabic history in various seconds tried to discover roots of heritage through searching the fundamental contents and on the brain mechanism by depending on the critic program indicating to ways of treating with it and to clarify Strengths and creativity in it.

